الدلالة الزمنية للفعل في البنية التركيبية

- قراءة في شعر البحتري –

الدكتور عبد القادر شارف
جامعة عبد الحميد بن باديس
(مستغانم)(الجزائر)

ملخص المداخلة:

ترتبط اللغة بالبيئة، والإقليم، والطبائع البشرية فهي ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، ولا تكون اللغة إلا حيث يتواجد أفراد المجتمع الواحد الذين يكسبونها خصائص تركيبية ودلالية، تتوافق والإدراك العقلي لديهم، وسلوكهم الاجتماعي، فتتمثل الألفاظ في نظام تركيبي له بنية خاصة، ونظام صوتي متشكل من الأصوات اللغوية، والمتتابعة في السلاسل الكلامية في المجتمع اللغوي الواحد.

واللغة العربية لها أصول قامت عليها أشكالها الصوتية وبناها التركيبية، وهذه الأصول راسخة ثابتة في أصالتها، وثباتها بيّنٌ في تمسّكها بالشكل الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ، إذ لا يُخفى في العربية صوتٌ من أصواتها مهما تتقلب تصاريف موادها المختلفة، فمادتها الأصلية محفوظة، ورابطتها اللغوية مصونة.

وتشكّل المشتقّات مادّةً غزيرة للتّوليد الدّلاليّ في الصّرف العربيّ؛ فهي تمدّ المفردات والسّياقات بدلالات هامّة يكاد لا يخلو منها كتاب من كتب الصّرف، وعن طريق ألوان من التّصريف تتولّد مفاهيم لا يمكن الوقوف عليها من دونه، وتكاد معظم أشكال التّوليد والارتجال في اللغة تنحصر في الصّيغ الصّرفيّة، وهذا التّوليد مشروط بصحّة المعنى، فالصّيغة صالحة للتّوليد بناءً على ما تدلُّ عليه من معانٍ أو بناء على ما يسمح به المعنى.

ويعتبر الفعل عنصراً أساسياً من بين العناصر التي تعمل على بناء الجملة في اللغة العربية، وهو ما أطلق عليه النحاة اسم المسند إليه، إذ يمثل طرفاً إسنادياً في الكلام، ولبيان أهميته في المعاني، ينبغي التدقيق في الصيغ والتفريق بينها على أساس

المعنى، فلكل معنى صيغة تبينه وتحدده وتفصله عن غيره، فدلالة الفعل تختلف عــن غيره كالمصدر واسمه والصفة وهكذا.

وسنهتم في هذه المداخلة بالتركيب الإفرادي ودلالته في شعر البحتري، الذي يتوزَّع بناؤه بين المجرد والمزيد، فهل استطاع الشاعر إتقان هذه المادة اللغوية المهمة في شعره والتي تختص بالتعبير عن الأحداث، وهل بينت دلالتها في خطابه الشعري؟ هذا ما سنجيب عنه حتما من خلال هذه المداخلة إن شاء الله.

ملخص المداخلة باللغة الفرنسية:

(Résumé de l'intervention en français)

Langue liés à l'environnement et du territoire, de l'homme et la nature sont prévues pour la reine avec un membre actif de la langue, dans la langue où il n'y a qu'un seul des membres de la communauté qui a obtenu les caractéristiques de synthèse et les indices, cohérents et conscients de leur mental, et le comportement social, ce sont des paroles Dans la structure synthétique d'un système audio, et successives des chaînes de mots dans une langue communautaire.

Origine arabe et sur ses formes et sa synthèse saine et solide immobilisations dans l'originalité, et de sa persistance dans la forme de sons et le secteur bancaire et le grammairien, comme il est bien connu dans le monde arabe voix de la voix importante de matériaux différents fluctuer au cou, et sa langue protégée.

Les dérivés de générer une richesse d'éléments de preuve matériels de change dans les pays arabes, ils fournissent près de vocabulaires et les contextes important, la signification n'est pas libre d'entre eux a écrit un livre échange, et par le rejet est généré couleur des concepts ne peut pas par lui, et presque toutes les formes de l'obstétrique et de l'improvisation dans la langue limité au paradigme , Et cette génération est subordonnée à la santé, pour générer formule basée sur ce que le sens de la présentation ou à la mesure de l'effet.

La loi a été un élément essentiel, qui est la construction de la phrase dans la langue arabe, un soi-disant nom qui lui a été assigné en tant que référence des postes dans la partie parler, et indiquer son importance en ce sens, doivent être soigneusement vérifiées et les formules de les distinguer sur la base de sens, la signification de chaque formule Identifiés et définis et séparés des autres.

Nous nous occupons de cette l'intervention de Installation et individuels significatifs dans les poèmes de EL BOHTORI?.

نص المداخلة:

إن مصطلح التداولية مصطلح جديد يمدد في مساحة واسعة من ساحات الدرس اللغوي الحديث، وقد امتد ليتصل بدراسات أخرى لها صلة بالمنطق والسيمائية واللسانيات ومنها علم الاجتماع اللغوي أو علم اللغة الاجتماعي، فهو شديد الكلف والعناية بالأفعال الكلامية، وهي الأفعال التي تتصف بتحقق الإنجاز والحدوث في الاتصال الخطابي بين المتكلم والمستمع. ويدل مصطلح الأفعال الكلامية على الأفعال ذات القوة المتضمنة في القول لتحقيق الفعل كالوعد والطلب والترجي، والتقرير والإخبار، والنفي والإثبات، والاستفهام.

وترتبط اللغة بالبيئة، والإقليم، والطبائع البشرية فهي ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[i] ولا تكون اللغة إلا حيث يتواجد أفراد المجتمع الواحد الذين يكسبونها خصائص تركيبية ودلالية، تتوافق والإدراك العقلي لديهم، وسلوكهم الاجتماعي، فتتمثل الألفاظ في نظام تركيبي له بنية خاصة، ونظام صوتي متشكل من الأصوات اللغوية، والمتتابعة في السلاسل الكلامية في المجتمع اللغوي الواحد.

واللغة العربية لها أصول قامت عليها أشكالها الصوتية وبناها التركيبية، وهذه الأصول راسخة ثابتة في أصالتها، وثباتها بيّنٌ في تمسّكها بالشكل الصوتيّ والصرفيّ والنحويّ، إذ "لا يُخفى في العربية صوتٌ من أصواتها مهما تتقلب تصاريف موادها المختلفة، فمادتها الأصلية محفوظة، ورابطتها اللغوية مصونة (...) إن لغتنا العربية تحتفظ بثبات أصواتها، وتبقى فيها المادة الأصلية المشتق منها واضحة مهما تبَدُ مشتقاتها الفرعية متغيرة عنها"[ii].

وتشكّل المشتقّات مادّةً غزيرة للتّوليد الدّلاليّ في الصّرف العربيّ؛ فهي تمدّ المفردات والسّياقات بدلالات هامّة يكاد لا يخلو منها كتاب من كتب الصّرف، وعن طريق ألوان من التّصريف تتولّد مفاهيم لا يمكن الوقوف عليها من دونه، وتكاد معظم أشكال التّوليد والارتجال في اللغة تنحصر في الصّيغ الصّرفيّة، وهذا التّوليد مشروط بصحّة المعنى، فالصّيغة صالحة للتّوليد بناءً على ما تدلُّ عليه من معانٍ أو بناء على ما يسمح به المعنى، ويقرّر تمّام حسّان: "أنّ العناصر القابلة للتّحوّل والتّطوّر في

اللغة هي المفردات ذات الصّيغ، فتطوّر اللغة دائماً يأتي عن طريق المفردات تعريباً أو توليداً أو ارتجالاً أو ترجمة، ولا يأتي عن طريق إضافة حروف أو ظروف أو ضمائر أو إضافة صيغ صرفيّة جديدة " [iii].

ويعتبر الفعل عنصراً أساسياً من بين العناصر التي تعمل على بناء الجملة في اللغة العربية، وهو ما أطلق عليه النحاة اِسم المسند إليه، إذ يمثل طرفاً إسناداياً في الكلام.

وإذا الفعل هو العمل الذي يقوم به صاحبه، فلا بدَّ أن يتم هذا الحدث في فترة زمانية معينة، ولهذا يعد الفعل مادة لغوية مهمة تدل على حدث يجري على أزمنة مختلفة وذلك لأنَّ الأساليب اللغوية تختص بالتعبير عن الأحداث التي تمت، والتي لم تتم بعد بواسطة الأفعال المقيدة بالزمن، إذ إنَّ الفعل هو " أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبينت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع " [iv].

ونفهم من كلام سيبويه أنَّ الزمن ينقسم إلى ثلاثة أقسام، زمن ما مضى وهو الزمن الماضي، وما يكون ولم يقع وهو الزمن المستقبل، وما هو كائن لم ينقطع وهو الزمن الحاضر، وباختلاف الأزمنة تختلف أبنية الأفعال "فأمَّا بناء ما مضى فذهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحُمِدَ، وأما بناء ما لم يقع فإنَّه قولك آمراً: اذهب، واقتل، واضرب، ومخبراً يَقْتُلُ، ويذهبُ، ويَضْرِبُ، ويُقْتَل، ويُضْرَب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرتَ"[v].

ويؤكد سيبويه رأيه السابق في كون الزمان من اختصاص الفعل مشيراً إلى أنَّ هذا الأخير "يتعدى إلى الزمان نحو قولك: ذهب لأنَّه بنى لما مضى منه وما لم يمض، فإذا قال ذهب فهو دليل على أنَّ الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنَّه دليل على أنَّه يكون فيما يستقبل من الزمان ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه"[vi].

وسنهتم بالتركيب الإفرادي ودلالته في شعر البحتري، ويتوزَّع بناؤه على النحو الآتي:

– بناء المجرد:

أ– فَعُلَ: وهو أقل الأبنيَّة استعمالاً، ويرد فيما يدل على الطبائع[vii]، وذلك لأنَّه يدل على صفات طُبِعَ عليها الإنسان، وأصبحت غريزة فيه مخلوقة معه.

ودلالته هذه جعلته لا يكون إلا لازماً، لأنَّ الغريزة تكون لازمة لصاحبها، ولا تتعداه إلى غير، وهذا ما أكّده سيبويه حين عَدَّهُ " ضرباً رابعاً لا يشركُه فيه ما يتعداك، وذلك فَعُلَ يَفْعُلُ نحو كَرُمَ يَكْرُمُ، وليس في الكلام فَعُلَته متعدياً " [viii]، وذلك لأنَّه إنَّما جاء في كلامهم للهيْأة التي يكون عليها الفاعل لا لشيء يفعله قصداً لغيره نحو: شَرُفَ وَظَرُفَ"[ix]، وبالتالي فإنَّ الحسن والقبح والوسامة والقسامة والكبر والصغر والطول والقصر والغلظ والسهولة والصعوبة والسرعة والبطء والثقل والحُلم والرُفق كلها عليه.

وقد ضمت العين في هذه الصيغة "لأنَّها لما كانت خلقة وطبيعة وصاحبها مسلوب الاختيار جُعِلَ الضم علامة للخلقة "[x]، ومن أمثلة هذه الصيغة الفعلين اللازمين كَرُم وعَظُمَ في قول البحتري:

كَرُمَ ابنُ عُثمانٍ فَما يَنفَكُّ مِن مالٍ مُهانٍ عِندَ زَورٍ مُكرَمِ [xi]
عَظُمَ الرَجاءُ وَرُبَّ يَومٍ حَقَّ فيهِ لَنا رَجاؤُك [xii]

ب- فَعِلَ بفتح أوله وكسر ثانيه:

أمَّا فيما يخص دلالة صيغة فَعِلَ، فقد ذكر لها العلماء عِدَّة معانٍ منها:

- العلل: وذلك مثل قول ابن الحاجب " وفَعِلَ تكثر فيه العلل ... نحو سَقِمَ وَمَرِضَ"[xiii]، كقول البحتري:

وَأَصدَقُ ما كُنتَ شُبهاً بِهِ إِذا مَرِضَ الرَيرُ أَو ماتَ فيكا [xiv]

- الأحزان: مثل سَئِمَ التي دلت على اليأس في قول البحتري:

أَقولُ لِصاحِبٍ خَلَّيتُ عَنهُ يَدي إِذ مَلَّ أَو سَئِمَ اِعتِلاقي [xv]

- الأفراح : مثل سَعِدَ، ومنه قوله:

سَعِدَ الشاهِدُ المُقيمُ وَمِن أَسْـ ـعَدِ قَومٍ بِوابِلٍ جيرانُه [xvi]

- الألوان والعيوب : كل ما دلَّ على لون أو عيب فلا يخرج عن هذا الباب، وهذا ما أكدَّه ابن الحاجب قائلاً: " الألوان والعيوب والحُلى كلها عليه " [xvii]، ومنه الفعل (لَقِيَ وَوَجِلَ) في قول البحتري:

وَلَمّا التَقَت أَقلامُكُم وَسُيوفُهُم أَبَدَّت بُغاثَ الطَيرِ زُرقُ الجَوارِحِ [xviii]
وَظِباءِ هيفٍ تَجِلُّ عَنِ التَشبيـ ـهِ في الحُسنِ بِالظِباءِ الهيفِ [xix]

إنَّ وزن فَعِلَ يمتاز بدلالته على العلل والأحزان والأفراح والألــوان والعيــوب، وقــد يخرج إلى دلالات أخرى نذكر منها:

– الدلالة على حالة سيكولوجية، ومنه قوله:

وَهَوىً كُلَّما جَرى عَنهُ دَمعٌ يَئِسَ العاذِلونَ مِن إِقلاعي [xx]

يَئِسَ الحاسِدونَ مِنكَ وَكانوا أَسَفاً يَنظُرونَ نَحوَكَ حولا [xxi]

المقصود بالفعل (يَئِسَ) في البيتين هو ذاقت قلوبهم ضرعا من شدَّة اليأس.

ومنه كذلك الفعل (نَسِيَ وغَضِبَ) في قوله:

نَسِيَ الخُلالَةَ وَالصَفاءَ وَلَم تَطُل بَينــي وَبَيــنَ الحائــنِ الأَيّــامُ [xxii]

يَرضى فَيَرمي بِاللُهى سَماحَــةً وَيَغضَبُ المَوتُ إِذا الفَتحُ غَضِبِ [xxiii]

– الدلالة على حالة فزيولوجية، ومنه الفعل (أَذِنَ) في قول البحتري:

فَتى العَرَبِ المُغرى بِتَثبيتِ عِزِّها وَقَد أَذِنَت أَركانُهُ بِزَوالِ [xxiv]

إنَّ الفعل أَذِنَ هو من العضو الفزيولوجي، وهو هاهنا بمعنى اِسْتَمِعْ، وشــبيه بهذا الفعل (سَمِعَ) في قوله:

سَمِعَ الضارِطونَ فيهِ فَأَنشا بِغَباءٍ مِنَ الجَهالَةِ يَفسو [xxv]

– الدلالة على حالة بيولوجيا، ومنه الفعل (شَرِبَ) في قول البحتري:

وَلَقَد شَرِبتُ بِطارِفي وَبِتالِدي وَسَبَأْتُها بِكراً بِغَيرِ مِكاسِ [xxvi]

– الدلالة على علاقة سلبية بين الفاعل والمفعول كأن يترك الفاعل المفعــول، مثــل الفعلان (سَبَقَ وَجَهلَ) المسبوقان بالأداة النافية (لن) في قوله:

لَن تَسبِقَ الريحَ الشَمالَ إِذا طَغَت في الجَرِي ما لَم تَجرِ في مَيدانِهِ [xxvii]

لَن يَجهَلَ الساري المَحَجَّةَ بَعدَ ما رُفِعَــت لَنا مِنهُم بُدورُ سُعــودُ [xxviii]

– الدلالة على علاقة إيجابية بين الفاعل والمفعول كأن ينتقل تأثير الحــدث بواســطة الفاعل إلى المفعول، ومنه الفعلان (رَحِمَ وَعَلِمَ) في قول البحتري:

أَقعَصَ الفِتنَــةَ المُضِلَّــةَ حَتّى رَحِمَ القائميــنَ فيهــا القُعــودُ [xxix]

لَم أَرَ كَالهَجرِ لَم يُرحَم مُعَذَّبُهُ وَالوَصلِ لَم يُعتَمَد مُعطاهُ بِالحَسَدِ [xxx]

عَلِمَ اللَــهُ كَيفَ أَنتَ فَأَعطــا كَ المَحَلَّ الجَليــلَ مِن سُلطانِــه [xxxi]

– الدلالة على احتواء الفاعل للمفعول وتناوله له، مثل الفعل (وَسِعَ) في قول البحتري:

أَأَشكو نَداهُ بَعدَما وَسِعَ الوَرى وَمَن ذا يَذُمُّ الغَيثَ إِلّا مُذَمَّمُ [xxxii]

جـ – فَعَلَ بفتح أوله وضم ثانيه:

إنَّ صيغة فَعَلَ هي الأكثر وروداً في الكلام من غيرها، وهذا ما أكَّده سيبويه بقوله: " وإنَّما كان فَعَلَ كذلك لأنَّه أكثر في الكلام، فصار فيه ضربان، ألا ترى أنَّ فَعَلَ فيما تعدى أكثر من فَعِلَ، وهي فيما لا يتعدى أكثر، نحو: قَعَدَ وجَلَسَ " [xxxiii]، وسبب ذلك يعود إلى أنَّ الفتح أخف من الكسر والضم، ولذلك تواردت صيغة فَعَلَ بالفتح في الكلام أكثر من فَعِلَ بالكسر، وفَعُلَ بالضم، وهذا يوضحه إبراهيم أنيس من خلال عملية إحصائية قام بها فتوصل إلى أنَّ صيغة فَعَلَ "هي أكثر شُيوعاً في الأسلوب القرآني، لأنَّ به حوالي سبعة ومائة من الأفعال الماضية التي صيغتها فَعَلَ، وحوالي أربعة وعشرون فعلاً من صيغة فَعِلَ " [xxxiv]، ومن دلالتها في شعر البحتري ما يأتي:

– الدلالة على الاستقبال:

إن دلالة الماضي على الاستقبال إنَّما نجدها في بعض التراكيب في اللغة العربية قد خالفت الدلالة الأصلية التي وضعت لها وأصبحت دالة على الاستقبال بوجود قرينة لفظية أو معنوية خلصتها لتلك الدلالة، من ذلك قول البحتري:

وَقالوا أَتى مِن جانِبِ الغَربِ مُقبِلاً وَما خِلتُ أَنَّ البَدرَ يَأتي مِنَ الغَربِ [xxxv]

الفعل "أتى في قول البحتري يدل بصيغته الصرفية على الماضي المطلق في زمن مضى وانقضى، إلا أنَّ وروده في السياق يفرض عليه دلالة سياقية يقتضيها السياق ويدل عليها، وهي دلالة الاستقبال؛ لأنَّ القرينة اللفظية " مِن جانِبِ الغَربِ مُقبِلاً " في السياق النحوي التركيبي تشير إشارة واضحة جلية إلى أنَّه لما يقع بعد، ومع كونه فعلاً ماضياً في الصيغة الصرفية، فإنَّنا لا نفرغ هذه الصيغة الصرفية من دلالتها الزمنية ولا نخضعها للدلالة السياقية فقط، إذ لو كان ذلك هو المراد لجاءت الصيغة صريحة بقوله: "سيأتي"، ومع ذلك لا نقف عند حدود الدلالة الصرفية اللفظية لنقول: بأنَّه فعل ماضٍ قد وقع وحصل؛ فالقرينة السياقية تمنع ذلك وهي قوله: "مُقبِلاً "، وإنَّما نجمع بين الدلالتين الصرفية والنحوية، الإفرادية والتركيبية، لنقول: إنَّ المراد هو توظيف الصيغة في

معنى الاستقبال متضمنة معنى المضي وموظفة له في الوقت نفسه، فكأن مقصود الشاعر أن تقول: سيأتي مِن جانِبِ الغَربِ مُقبِلاً لا محالة مجيئاً مقطوعاً به، بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل.

ومثل هذه التعابير والتراكيب اللغوية كثير في شعر البحتري من ذلك مثلاً قوله:

قَد أُعطِيَت بَغدادُ مِنكَ نِهايَةَ الـ حَظِّ المُقَدَّمِ وَالنَصيبِ الأَوفَرِ [xxxvi]

فأعطيناك بمعنى نعطيك، وبهذا فإنَّ الفعلين (أتى وأعطى)، قد ناب الماضي منـاب المستقبل فيهما ودلّ دلالته وذلك لتحقيق إثبات الحدث وصدقه.

ومنه كذلك الفعل (سَقَى) الذي جاء بلفظ الماضي في صيغة الأمر(سُقنَ)، وبدلالة المستقبل أي نسوقه في قول البحتري:

دَواعي الحينِ سُقنَ إِلى نَجاحِ رُكوبَ البَغيِ لِلأَجَلِ المُتاحِ [xxxvii]

ومنه أيضًا الفعل (شهد):

شَهِدَ الخَرجُ إِذ تَوَلَّيتَهُ أَنَّـ كَ في جَمعِهِ الأَمينُ الأَعَفُّ [xxxviii]

جاء الفعل (شهد) بصيغة الماضي لفظاً، أما من حيث دلالته فهو للاستقبال وذلك ما يستوحى من سياق البيت ومن عبارة: " الخَرجُ إِذ تَوَلَّيتَهُ ".

ويدل الفعل المضارع كالماضي على الاستقبال ببنيته الأساسية دون أن يكون مصحوباً بأيَّة قرينة، سواء أكانت لفظية أم معنوية، ومن ذلك ما ذهب إليه سيبويه بقوله: "وأمَّا بناء ما لم يقع فإنَّه قولك: مخبراً، يقتل ويذهب ويضرب، ويقتل ويضرب" [xxxix]، وقد أكَّد المبرد بأنَّ صيغة يفعل مجردة من القرائن يجوز فيها الحال والاستقبال حيث يقول: "إذا قلت هو يأكل، جاز أن تعني ما هو فيه، وجاز أن تريد هو يأكل غداً " [xl]، وقوله أيضاً: " زيد يضرب فيجوز أن تريد أنه يضرب فيما يستقبل، ولم يقع منه ضرب في حال خبرك " [xli].

أمَّا إذا اتصلت به قرينة لفظية دالة على الاستقبال فإنَّ دلالته تتأكد في الاستقبال "كالسين أو سوف للاستقبال"[xlii]، وقد جمع ابن مالك هذه القرائن في قوله: "يتخلّص للاستقبال بظرف مستقبل، وبإسناد إلى متوقَّع، وباقتضائه طلباً أو وَعْداً، وبمصاحبة ناصب أو أداة ترجٍّ أو إشفاقٍ أو مجازاة، أو لو المصدرية، أو نون توكيد، أو حرف تنفيس وهو السين أو سوف" [xliii].

أمَّا بظرف المستقبل فمثل قول البحتري:

أَخَذَ اللَهُ مِنكَ ثَأرَ خَلِيٍّ لَم تَدَعهُ حَتّى غَدا مُستَهاما [xliv]

حيث استوحيت الدلالة على الاستقبال من القرينة الظرفية المتمثلة في كلمة (غدا)، ومثل هذا كثير في أساليب شعر البحتري.

– الدلالة على الحال:

تستعمل صيغة (فَعَلَ) الدالة على الماضي بلفظها لتدل على الحال في سياقها، من ذلك ما جاء في قول البحتري:

اليَومَ حَوَّلَني المَشيبُ إِلى النُهى وَذَلَلتُ لِلعُذّالِ بَعدَ شِماسِ [xlv]

لِلّهِ دَرُّكَ قَد أَكمَلتَ أَربَعَةً ما هُنَّ في أَحَدٍ مِن سائِرِ البَشَرِ [xlvi]

إن الفعل (حَوَّلَ) والفعل (أكملتَ)هما بناءان للماضي غير أنَّهما دلاَّ على الحاضر "من جهتين: من جهة السياق العام، ومن جهة الظرف الذي يعد من القرائن اللفظية التي خلصت الفعل للدلالة على الحال دون غيره وهو قوله: (اليَومَ، وقد).

وصيغة الفعل الماضي قد تستعمل للدلالة على الحال، ويكون ذلك في بعض المواضع اللغوية، وهو يأتي –كما يقول علماء البلاغة لنكتة بلاغية– تنزيلاً لحوادث الحال منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة مثل حوادث الماضي التي وقعت وأصبحت حقائق واقعية [xlvii] واردة في سياق دال على الحاضر وفق ضوابط وقرائن معينة، ويمكن توضيح ذلك في قول البحتري:

وَكانَ عَطاءُ اللَهِ قَبلَكَ كَاِسمِهِ لِعافٍ ضَريكٍ أَولِأَسيانِ بائِسِ [xlviii]

وَكانَ الحَجُّ لِلقَلبِ المُعَنّى ضَماناً زيدَ فيهِ إِلى ضَمانِ [xlix]

إن دلالة الفعل (كَانَ)هنا هي حالية مستمرة فعطاء الله كان قَبلَكَ كَاِسمِهِ واليوم وبعده أيضًا، والحج كان لِلقَلبِ المُعَنّى ضَماناً واليوم هو أيضاً وبعد اليوم كذلك، فالماضي هنا هو قائم على حالة واحدة.

ومن صيغ الأفعال الماضي الدالة على الحال (بَعَثَ) في قول البحتري:

تَهتَزُّ في هَيَفٍ وَما بَعَثَ الهَوى مِنهُنَّ مِثلَ المُرهَفاتِ الهيفِ [l]

انصرف الماضي في (بَعَثَ) إلى الحال بالإنشاء، وذلك لأنَّ "أكثر ما يستعمل في الإنشاء الإيقاعي من أمثلة الفعل هو الماضي، والفرق بين بعث الإنشائي وأبيع المقصود به الحال، أنّ قولك: أبيع لا بدَّ له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ تقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج، فإن حصلت المطابقة المقصودة، فالكلام صدق وإلا

فهو كذب، وأما بعت الإنشائي، فإنَّه لا خارج له تقصد مطابقته، بل البيع يحصل في الحال بهذا اللفظ" [li].

رأينا أنَّ صيغة (فَعَلَ) للماضي تكون للحال، كذلك يمكن أن تكون صيغة المضارع (يفعل) لها أيضًا، فهي وضعت أصلاً للدلالة على الحال دون غيره شريطة ألا تكون مصحوبة بأيَّة قرينة لفظية أو سياقية، وهذا ما أكَّده ابن مالك بقوله: "ويترجح الحال مع التجريد " [lii]، ويؤكِّد الرضي دلالته على الحال وهي عنده الأقوى "لأنَّه إذا خلا من القرائن لم يُحْمَل إلا على الحال ولا يُصْرَف إلى الاستقبال إلا بقرينة، ومن المناسب أن يكون للحال صيغة خاصة كما لأخويه" [liii]، أمَّا الحاضر عند ابن يعيش "فهو الذي يصل إليه المستقبل ويسري منه الماضي فيكون زمان الإخبار عنه هو زمان وجوده " [liv] من دون تمييز بصيغة صرفية خاصة به.

المضارع يدل على الحال بوجود قرينة لفظية أو سياقية تعين الحاضر دون غيره ككلمة الآن التي هي "حدّ الزمانيين: حد الماضي من آخره، وحدُّ المستقل من أوله" [lv] ومثل الآن، الحين والساعة.. الخ، ومنه قول البحتري الذي يدل على الحال والساعة:

آتيكَ سَعياً مُعفِّراً قَدَمي يَحفِزُني الشَوقُ ثُمَّ تَحتَجِبُ [lvi]

كما قد تتصرف دلالة الفعل على المضارع إلى الماضي فيخبر به عن حدث تم وانقضى في الزمن الماضي وذلك بقرائن لفظية أو معنوية خاصة بالزمن الماضي مثل: (لَمْ ولَمَّا) فدخولهما على المضارع يحوّل دلالته إلى الماضي، غير أنَّ الفرق بينهما يكمن في أن "لم"، تنفي الحدث في الزمن الماضي المطلق، يقول الصاحبي: "لم تنفي الفعل المستقبل، وتنقل معناه إلى الماضي، نحو لم يقم زيد تريد: ما قام زيد" [lvii]، في حين أنّ لمّا تنفي وقوع الحدث في الزمن الماضي القريب من الحال، وقد تكون لمّا بمعنى لم[lviii] مثل قول البحتري:

لَم تُضيعني لَمّا أَضاعَني الدَهْـ ـرُ ولَيسَ المُضاعُ إِلّا مُضيعي [lix]

فالبحتري من خلال هذا البيت يريد أن يقول: لم يضيعوا الدهْر، وقد تأتي في الكلام قرينة لفظية تدل على الزمان الماضي من ذلك قوله:

جَمَعَ المَكارِمَ كُلَّها بِخَلائِقٍ لَم تَجتَمِع في سَيِّدٍ مِن قَبلِهِ [lx]

فالقرينة اللفظية هنا هي قوله "من قبل" " دلت على أن الاجتماع قد انقضى وانقطع أثره.

ومنه قوله أيضًا:

إِذا قُسِمَ التَقَدُّمُ لَم يُرَجَّــح نَصيبٌ في الرِجالِ عَلى نَصيبِ [lxi]

فالقرينة اللفظية هنا هي قوله " نَصيبٌ " دلت على أنَّ الترجيح قد انقضى وتحقق هدفه بالنصيب.

ومنه قوله أيضًا:

فَإِذا عَزَمتَ عَلى مَساءَتِهِم فَاِجهَر بِلَم يولَد ولَم يَلِدِ [lxii]

لقد جاء الفعلان يولَد ويَلِدِ منفيين مجزومين بلم وتجردا من دلالتهما على المضارع حيث قلبت لم زمنهما إلى الماضي.

ونلحظ أنَّ مجيء الأفعال في السياق عند البحتري كثيراً ما يخرج عن النمط المألوف للغة من حيث التصرف في أزمنة الفعل، وذلك كالتعبير عن الحدث الماضي بالمضارع والتعبير عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي، وكثيراً ما نجد السياق الشِّعري لا يجري على نمط واحد في المطابقة الزمنية بين الأفعال، إذ يحصل تصرف في التحول الداخلي للسياق نفسه بالمخالفة في أزمنة الأفعال، كأن يرد في السياق ذكر الفعل المضارع ثم ينكسر النسق السياقي بمجيء الفعل الماضي في السياق نفسه أو العكس، مِمَّا يثير التساؤل عن معرفة سبب ذلك التحول ودلالته التعبيرية في السياق الشِّعري.

وهذا التحول يكشف عن تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية مِمَّا يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة.

فالبنية العميقة تستوجب المطابقة في أزمنة الفعل في السياق اللغوي، والعدول والتحول عنها إلى البنية السطحية التي برزت على سطح النص تستدعي تحولاً في المعنى يرافق هذا التحول في المبنى، وقد توقف علماؤنا عند هذا النوع من التحول وعدّوه ضرباً من البلاغة، يقول ابن الأثير (ت 636هـ): " واعلم أيَّها المتوشح لمعرفة علم البيان أنَّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها، وفتّش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنَّه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً " [lxiii].

– الدلالة على حالة سيكولوجية، ومنه الفعل (أَرَتْ) في قول البحتري:

جَبابِرَةُ الأَرضِ اِستَكانَت لِضَربَةٍ أَرَت قَيِّمَ النَهجِ الَّذي ذاقَ ناكِبُه [lxiv]

– الدلالة على حالة فزيولوجية : ومنه الفعل (سَارَ) في قول البحتري:

سارَ يَسترشِــدُ النُجــومَ إِلَيهِم في سَوادِ الظَلماءِ حَتّى طَفينا [lxv]

– الدلالة على الاضطراب، كمثل الفعل (يَرْجِفُ) في قول البحتري:

يَرجِفُ الحِلفُ في صُدورِ قَناهُم وَتَحِنُّ الأَرحامُ فيهِم حَنينا [lxvi]

– الدلالة على الاختفاء، ومنه الفعل (أَفَلَ) في قول البحتري:

لَئِن أَفَلَ النَجمُ الَّذي لاحَ آنِفاً فَسَوفَ تَلالا بَعدَهُ أَنجُمٌ زُهرُ [lxvii]

فالفعل (أَفَلَ) بمعنى غاب واختفى، وشبيه بهذا الفعلين (خاب وغاب) في قوله:

خابَ مَن غابَ عَن طَلاقَةِ وَجهٍ ضَوَّأَ الحادِثَ المُضِبَّ شِهابُه [lxviii]

– الدلالة على الفراغ، مثل الفعل (خَلَتْ) في قوله:

خَلَت بَلَدٌ مِن ساكِنِيها وَأَوحَشَت مَرابِعُ مِن سِنجارَ يَهمي بِها الوَبلُ [lxix]

– الدلالة على الصوت، مثل الفعل (نَطَقَ) في قوله:

لَقَد نَطَقَ البَشيرُ بِما اِبتَهَجنا لَهُ لَو كانَ يَصدُقُنا البَشيرُ [lxx]

– الدلالة على المنح، مثل الفعل (جَزَى) في قوله:

فَاللَهُ يَجزي الحُسنى أَبا حَسَنٍ فَهوَ لِثِقلِ الحُقوقِ حَمّالُ [lxxi]

– الدلالة على الأخذ، مثل قوله:

أَخَذَ اللَهُ مِنكَ ثَأرَ خَلِيٍّ لَم تَدَعهُ حَتّى غَدا مُستَهاما [lxxii]

– الدلالة على الأكــل والشــرب، ومنه قوله:

أَقَمنا أَكلُنا أَكلُ اِستِلابٍ هُناكَ وَشُربُنا شُربٌ بِدارُ [lxxiii]

– الدلالة على الظلم والاعتداء، ومنه الفعلان (ضَرَبَ، قَتَلَ) في قوله:

ضَرَبَ الجِبالَ بِمِثلِها مِن رَأيِهِ غَضبانُ يَطعَنُ بِالحِمامِ وَيَضرِبُ [lxxiv]

قَتَلَ الدَعِيَّ اِبنَ الدَعِيِّ بِضَربَةٍ خَلسٍ وَحَــرَّقَ جَيشَــهُ تَحريقــا [lxxv]

– الدلالة على الهدوء والسكون، مثل الأفعال (سَكَنَتُ، هَدَأَ، وَنامَت) في قوله:

وَلَقَد سَكَنتُ مِنَ الصُدودِ إِلى النَوى وَالشَريُ أَريٌّ عِندَ أَكلِ الحَنظَلِ [lxxvi]

هَــدَأَ النــاسُ وَنامَــت كُــلُّ عَيــنٍ غَيــرَ عَينــي [lxxvii]

– الدلالة على النزول، مثل نَزَلَ في قوله:

يَنزِلُ القَومُ أَنفُساً وَسَجايا عَن تَعَلّيهِ فَوقَهُم وَارتِفاعِه [lxxviii]

- الدلالة على الجمع والشمل، مثل جَمَعَ في قوله:

جَمَعَ اللَهُ شَملَها في يَدَيهِ وَرَآهُ لَها مَكاناً وَأَهلا [lxxix]

مثل يَسْأَلُ في قوله:

يَسأَلُ الأَقوامُ عَن رُوّادِهِم عِندَ أَبوابِ مُرَجّى ذي مِنَن [lxxx]

2- بنـــاء المزيـــد:

أ- فَعَّـــلَ بتضعيف العين:

يرى ابن الحاجب أنَّ " فَعَّلَ للتكثير غالباً " [lxxxi]، ومنه قول البحتري:

رَفَعَت مِنَ السِجفِ المُنيفِ وَسَلَّمَت بِأَنامِلٍ فيهِنَّ دَرسُ خِضـــابِ [lxxxii]

أَحكَمَتَ مـــا دَبَّـــرتَ بِالتَبعيدِ وَالـــ تَقريبِ وَالتَصعيبِ وَالتَسهيلِ [lxxxiii]

ما رَأَيتُ السُلطـــانَ مَيَّـــلَ في أَن نَكَ ظُفرُ السُلطانِ أَغنَت وَنابُه [lxxxiv]

فَتـــىً كَـــرَّمَ اللَـــــهُ أَخلاقَـــــهُ وَأَلبَســـهُ الحَمدَ غَضّاً قَشيبـــا [lxxxv]

وكل الصيغ الواردة في هذه الأبيات (سَلَّمَت - دَبَّـــرتَ - مَيَّـــلَ - كَـــرَّمَ) متعدية، ومنها ما دلت على معنى المبالغة كفعل (تَفَرَّقَ وَ قَدَّمَت) في قول البحتري:

إِذا اِفتَرَقَت أَسيافُهُ وَسطَ جَحفَلٍ تَفَرَّقَ عَنهُ هامُهُ وَسَواعِـــدُه [lxxxvi]

أَنتَ الكَريمُ وَقَد قَدَّمتَ مُبتَدِئـــاً وَعداً وَكُلُّ كَريمٍ عِندَ مَوعِدِهِ [lxxxvii]

ب- فَاعَـــلَ:

ويأتي فَاعَلَ "نسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلقاً بـــالآخر للمشـــاركة"[lxxxviii]، فالمشاركة هنا هي من اصطلاح ابن الحاجب، وأورده بعد التعريف، أمَّا سيبويه فيعطي التعريف دون التصريح باللفظ، وذلك بقوله: " إذا قلت : فاعلته ، فقد كان من غيـــرك إليك مثل ما كان إليه حين قلت: فاعلته " [lxxxix]، وقد أخذ الزمخشري التعريف أيضـــاً دون اصطلاح، فَفَاعَل إذن هو "أن يكون من اثنين، كل واحد منهما يفعل بصاحبه مثل ما يفعله به الآخر"[xc]، فالحدث يقع من اثنين في لحظة واحدة، بحيث يشترك الطرفـــان في أصله.

ولأجل تعلق فَاعَلَ بالأمر الآخر " جاء غير المتعدي متعدياً " [xci] بعد نقله إلى فَاعَلَ، يقول البحتري:

قاتَلَ اللَهُ قاتِلاتِ الغَواني بِالغَرامِ المُنبي عَنِ الغَيِّ رُشدُه [xcii]

فالشاهد في هذا البيت هو الفعل (قاتَلَ) الذي أصله (قَتَلَ)، وهذا التحويل الـذي أحدثه المد في البنية، أحدث بدوره تحويلا في الدلالة، وقد انفرد ابن الحاجـب بقولـه بتعدية اللازم الدال على الطباع والسجايا، وشبيه بهذا الفعل (بَادَر) في قول البحتري:

وَكَم غِرَّةٍ لِلمَجدِ بادَرَ فَوتَها وَعائِرِ حَمدٍ أَعلَقَتهُ حَبائِلُه [xciii]

جـ- أفْعَـل:

جاء هذا البناء في شعر البحتري دالا على المعاني الآتية:

- **التعدية:** يقول ابن الحاجب: " أَفْعَلَ للتعدية غالباً نحو أَجْلَسْتُهُ " [xciv]، وقـد ورد لهذه الدلالة: أَخلَقَ، أَدبَرَ، أَطلَقَت، أَطفَأتَ، أَظهَرَ، أَحَلَّ أَراها، يُهمِل، وقـد وردت أمثلة في مثل هذا النوع عند البحتري في قوله:

أَخلَـقَ النـاسُ الأَخيـرونَ كَـأَن لَـم يُنَبّـوا جِـدَّةَ النـاسِ الـأُوَل [xcv]

وَقَد أَدبَرَ المَخـذولُ حَتّى لَوَ اِنَّـهُ رَمى الأَرضَ لَـم يُفـرِص يَدَيـهِ جَديدُها[xcvi]

أَطلَقَـت دَمعَـةُ المَدامِـعُ لَمـّا جَـدَّ لِلبَيـنِ رِحلَـةٌ وَاِنطِـلاقُ[xcvii]

أَطفَأتَ نارَ العِدى عَنهُم وَقَد ذَكُوَت وَذُدتَ نابَ الرَدى عَنهُم وَقَد صَرَفا [xcviii]

أَظهَرَ العَدلُ فَاِستَنـارَت بِـهِ الأَر ضُ وَعَـمَّ البِـلادَ غَـوراً وَنَجـدا [xcix]

أَحَـلَّ فَأَبـدى لِلعُيـونِ بَشاشَـةً وَكـانَ قَـذىً لِلعَينِ إِذ كانَ مُحرَما [c]

ما لِلَّيـالي أَراهـا لَيسَ تَجمَعُهـا حـالٌ وَيَجمَعُها مِن جَذمِها نَسَـبُ [ci]

كل هذه الصيغ الواردة في هذه الأمثلة لازمة، وصارت بدخول همزة القطع عليها متعدية إلى مفعول ماعدا الصيغتين: "أحلَّ " وَ " أرَاها " فهي متعدية إلى مفعولين بالأولى وثلاثة بالثانية.

– جعل الشيء ذا أصله: جاء لهذا المعنى: أَعَدَّت، تُهْدِي، يقول البحتري:

أَعَــدتَ حُســنَ الدُنيــا وَجِدَّتَهــا فينا فَأَضحَت كَالروضَةِ الخَضِرَه [cii]

أَعَــدتَ خِلالَــهُ فينــا وَلَــولــا كَمالُــكَ لَم تَكُــن مِمّــا يُعــــــادُ [ciii]

تَهدِي الفُتوحُ مِنَ الآفاق عامِــدَةً مُبارَكاً مِن بَني العَبّــاس مَيمونا [civ]

تُهدِي إِلى الفَتحِ وَالنُعمى بِذاكَ لَهُ مَدحــاً يُقَصِّــرُ عَنهُ كُلُّ مَــدّاحِ [cv]

وردت الصيغتان: أَعَدَّ وتُهْدِي بمعنى جعل الشيء ذا أصله أو نفس أصله، ذلك أنَّ الفعلين: أَعَدَّ جعله عدَّة، وتُهْدِي جعله هدية، والهدية هنا الخير السار.

– الإزالة والسلب: ورد لهذه الدلالة " أبرأ " ، " أَلحَجَ "، يقول البحتري:

فَمَن أَبرَأَ الحُكمُ فيهِ نَجا وَمَن أَلحَجَ الحُكمُ فيهِ لَجِج [cvi]

الفعلين " أبرأ " يفيدان الإزالة والإزاحة.

– أفعل بمعنى صاحب كذا: ورد لهذه الدلالة الفعل " أنصف "، في قول البحتري:

وَلَو أَنصَفَ الحُسّادُ يَوماً تَأَمَّلوا مَعاليكَ هَل كانَت بِغَيرِكَ أَليَقا [cvii]

جاء الفعل " لَو أَنصَفَ " بمعنى لو كان صاحب نصف أي صاحب عدل.

– أفعل بمعنى فعل، ورد لهذا المعنى: أومض، أَلَّــم، أطعمت، تنكــر، ومنــه قــول البحتري:

كُلَّما أَومَضَ بَرقٌ أَو سَــرى نَسمُ ريــحٍ أَو ثَنى عَطفاً فَنَــن [cviii]

أَلَمَّ بِخــوصٍ كَالقِسِيِّ سَواهِمٍ وَشُعثٍ عَلى كُثُبِ العَقيقِ هُجودِ [cix]

أُسودٌ أُطعِمَتْ ظَفَراً فَعَــادَتْ بِقَسْــرٍ لِلأَعَــادِي وَاِهتِضَــامِ [cx]

ما تُنكِرُ الحَسناءُ مِن مُتَوَغِّلٍ في اللَيــلِ يَخلِطُ أَينَهُ بِسُهــودِهِ [cxi]

جاءت هذه الصيغ بمعنى فَعَلَ غير أنَّ زيادة همزة القطع تفيد التأكيــد، لأنَّ الزيــادة مفيدة، وإلا كانت عبثا [cxii].

– أفعل بنية لا يراد بزيادتها معنى، ومن صيغ هــذا البنــاء: أدرك، أقســم، يقــول البحتري:

قَد أَدرَكَ الحُلمُ الَّذي أَبــدى لَنا عَن حِلمِــهِ وَوَقــارِهِ وَسَــدادِهِ [cxiii]

أَقسَمــتُ بِالبَيــتِ الحَــــــرا مِ وَحُرمَــةِ الشَهــرِ الأَصَــــمّ [cxiv]

د- انْفَعَــلَ:

إنَّ البنية التركيبية مزدوجة الزيادة، تمثلت في زيادة سابقتي الألــف والنــون على البنية الأصلية، وهذا التحويل من البنية الأصلية إلى البنية الجديدة أعطى للفعــل دلالة أخرى غير دلالته المتعارف بها، ومن هنا أصبحت "انفعل" تتكــون مــن ثلاثــة مقاطع أصلية قصيرة مفتوحة، ومن مقطع متوسط وهو الزائد، وهي الصيغة التي تمتاز بخاصيتي "اللزوم والمطاوعة" [cxv]، ومن الصيغ الدالة على هذا المعنــى (اِنْطَــوَى – اِنْهَدَمَ)، يقول البحتري:

عَجَباً مِنهُ ما اِنطَــوى سَيبُهُ عَنْــ نَــا بِعَوقٍ إِذا طَواهُ حِجابُــه [cxvi]

يــا بــــانِــيَ المَجــــدِ الَّــذي قَــد كــانَ قُــوِّضَ فَاِنهَــدَم [cxvii]

الفعل في هذين البيتين مطاوع "فَعَلَ"، وهذه الصفة أصل فيه، لأنَّه يجــوز أن يقال طَوَيتُهُ فَاِنْطَوَى، وَهَدَمْتُهُ فَاِنْهَدَمَ ، والمطاوعة – بحسب السياق – تصور صــورة التعجب من شخص هو مُنطوي العطاء في البيت الأول، وتبخر الأحلام فــي البيــت الثاني.

5 – اِفْتَعَــلَ:

يذكر العلماء عادة هذه البنية بعد "اِنْفَعَلَ"، وذلك لمشابهتها في عدد الحــروف ونسق الحركات، وبالتالي تساويهما في عدد المقاطع، ولا يختلفان إلا في شيء واحــد، وهو الزائدة الوسطية، إذ هي النون في "اِنْفَعَلَ"، والتاء في "اِفْتَعَلَ"، وحتى مــن حيــث المعنى، فلهما معنى واحد تمثل في المطاوعة، فاِفْتَعَلَ إذن تأتي " للمطاوعــة غالبــاً " [cxviii]، وقد توزعت صيغة " اِفْتَعَلَ " في شعر البحتري على المعاني الآتية:

– **المطاوعــة:** وتعني " قبول الأثر وعدم الامتناع عليه باعتبار المطاوع في الأساس هو المفعول به الذي يصير فاعلاً " [cxix]، ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى (اِمتَلَأَت – اِتَّصلَت)، يقول البحتري:

اللَــهُ جــارٌ لَها فَمــا اِمتَلَــأَت عَينِيَ إِلّا مِن حَيثُ أُبصِرُهــا [cxx]

هوجٌ إِذا اِتَّصلَت بِأَسبابِ السُرى قَطَعَ التَنائِفَ سَيرُها المَرفوعُ [cxxi]

الصيغ القائمة في هذين المثالين لازمة، والمطاوعة فيها قائمة مقام "اِنْفَعَــلَ" مطاوع الفعل، نحو: مَلأْتُهُ فَاِمْتَلأَ، وَوَصَلْتُهُ فَاِتَّصَلَ.

– **اِفْتَعَلَ بمعنى فَعَلَ** [cxxii]: ومن الصيغ الدالة عليها: "اِشْتَكَى"، "اِلْتَمَسْتُ"، "اِحْتَــرَقَ"، وهي أفعال متعدية تحمل معنى فعلها المجرد:

أَرانا عُناةً في يَدِ الدَهرِ نَشتَكي تَأَكُّــدَ عَقدٍ مِن عُــراهُ وَثيــق [cxxiii]
إِنِ اِلتَمَستُ رُجوعاً مِن بَشاشَتِهِ لَم أُلفَ مُلتَمِساً قَصداً وَلا أَمَما [cxxiv]
لَيسَ فيــهِ غَيرُ ما يُغــري بِهِ فَإِذا قُلتُ اِنشَوى قالَ اِحتَــرَق [cxxv]

– اِفْتَعَلَ بمعنى أفعَلَ: ومن الصيغ الدالة عليه: "اِحْتَكَمَ"، يقول البحتري:

عَلى حينِ اِستَتَمَّ الوَهنُ عَظمي وَأُعطِيَ فِيَّ ما اِحتَكَمَ المَشيبُ [cxxvi]
عَــن أَيِّ ثَغــــــــرٍ تَبتَسِــم وَبِـــأَيِّ طَـــرفٍ تَحتَكِــم [cxxvii]

– اِفْتَعَــلَ بمعنى استفعَلَ: والصيغة الدالة عليه " اِعْتَصَمَ "، يقول البحتري:

مَتى أَعتَصِم في آلِ مُرٍّ أَجِدهُمُ حُصوني كَفَت كَيدَ العِدى وَجِبالي [cxxviii]

– الدلالة على الاتخاذ: ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى اِصْطَفَاهُ – اتَّخِــذ، يقــول البحتري:

نُعمى مِنَ اللَهِ اِصطَفاهُ بِفَضلِها وَاللَهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ وَيَقدُرُ [cxxix]
أَنتَ الَّذي لَو قيــلَ لِلجودِ اتَّخِذ خِلّاً أَخارَ إِلَيكَ لــا يَعدوكــا [cxxx]

اِصْطَفَاهُ بِفَضلِها بمعنى اتخذه بِفَضلِها، أي جَعَلَهُ الله بِفَضلِها.

– اِفتَعَلَ بمعنى التصريف [cxxxi]، ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى: اِكْتَسَبَ، يقول البحتري:

وَلَم أَكتَسِب ذَنباً فَتَجزِيَني بِهِ وَلَم أَجتَرِم جُرماً فَتُعتِبَ مِن ذَنبِ [cxxxii]

فالبناء الأصلي للفعل " اِكْتَسَبَ " هو " كَسَبَ "، وهو في هذا المثال بمعنى أَصَابَ ذَنباً.

– اِفتَعَلَ بمعنى صار ذا أصله: ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى: يَعْتَرِضُ، يقــول البحتري:

يَعتَــرِضُ الحِرمــانُ في مَطلَبي وَيَحكُمُ الخَــزّارُ في شِعــري [cxxxiii]
إِذا اِعتَرَضَ الخابورُ دونَ جِيادِنا رِعالاً فَخَدُّ اِبنِ اللَئيمَةِ أَضرَعُ [cxxxiv]

الفعل " يَعْتَرِضُ " على زنة " يَفْتَعِلُ " ورد بمعنى صار الشيء ذا أصله على النحو ما في البيت الأول " اِعتَرَضَ الحِرمانُ في مَطلَبي " وَ " اِعتَرَضَ الخــابورُ دونَ جِيادِنا " في الثاني.

6– اِسْتَفْعَــلَ:

إنَّ البناء المزيد بسابقة (اِسْتَ) هو بنية تركيبية مثلثة الزيادة، وقد أحدثت تحولا داخلياً في البناء الأساسي "فَعَلَ"، إذ أصبح الحرف الأول منه ساكنا، أضف إلى ذلك التغير في عدد المقاطع ، فبدلاً من ثلاث مقاطع قصيرة مفتوحة، نجد أربعة مقاطع، اثنان منها متوسطين، والآخران قصيرين مفتوحين، ويتوزع هذا البناء على المعاني الآتية:

– **الدلالة على الطلب والسؤال:** يأتي استفعل للطلب، وللسؤال غالباً، ومن الصيغ الدالة عليه : " اِسْتَقْبَلَ " ، " اِسْتَحْسَنَ " ، " يَستَقِلُّ " ، قال البحتري:

حَيثُ يُستَقبَلُ الزَمانُ وَيُستَحسَنُ البَلَد [cxxxv]
وَيَحسُنُ دَلُّها وَالمَوتُ فيهِ وَقَد يُستَحسَنُ السَيفُ الصَقيلُ [cxxxvi]
مَلِكٌ يَستَقِلُّ في رَأيِهِ المُلْكُ وَيَحيا في فَضلِهِ الإِفضالُ [cxxxvii]

كل هذه الصيغ في هذه الأمثلة تفيد الطلب، فاِسْتَقْبَلَ لطلب الاستقبال، واِسْتَحْسَنَ لطلب الإحسان، واِستَقِلُّ لطلب الاستقالة.

– **المطاوعة** [*]: ومن أمثلتها (يَستَقيمُ، اِستَطاعَ)، يقول البحتري:

كُتّابُ مُلكٍ يَستَقيمُ بِرَأيِهِم أَوَدُ الخِلافَةِ أَو أُسودُ صَباحِ [cxxxviii]
وَلَوِ اِستَطاعَ لَكانَ يَومُ وِصالِهِ لِلمُستَهامِ مَكانَ يَومِ صُدودِهِ [cxxxix]

استقام مطاوع أَقَامَ نحو: أَقَمْتُهُ فَاسْتَقَمْ، واِسْتَطَاعَ مطاوع أَطَاعَ، نحو: أَطَعْتُهُ فَاِسْتَطَعْ.

– **استفعل بمعنى أفعل:** وقد ورد لهذه الدلالة اِسْتَفْرَغَ، نحو قوله:

دِيَمٌ مِن سَحابِ جودٍ إِذا اِسْتُفرِغَ خِلفٌ مِنها تَدَفَّقَ خِلفُ [cxl]

فَاِسْتَفْرَغَ بمعنى أَفْرَغَ، وقد فضَّل البحتري صيغة " اِسْتَفْعَلَ " لقوتها الدلالية، ولأنَّها تستعمل في المعنوي أكثر مِمَّا ترد للمحسوس.

– **اِسْتَفْعَلَ بمعنى وجد الشيء ذا أصله** [cxli]: ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى "اِستُحلِّت"، يقول البحتري:

وَمِن إِرثِكُم أَعطَت صَفِيَّةُ مُصعَباً جَميلَ الأَسى لِما اِستُحلَّت مَحارِمُه [cxlii]

الفعل (حلا) في الأصل لازم، ولما أدخلت عليه الزوائد: الألف والسين والتاء، صار متعدياً إلى مفعول على نحو ما في البيت اِستحلت مَحارِمُ مُصعَباً أي وجدتها حلوة.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس،

1- من أسرار اللغة، ط5، مصر 1975م.

- ابن الأثير،

2- المثل السائر في الأدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مكتبة نهضة مصر - القاهرة 1959م.

- البحتري،

3- الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرافي، دار المعارف ط3 القاهرة 1977م.

- بدوي طبانة،

4- البحتري، ط1، مكتبة نهضة مصر - القاهرة 1959م، ج2.

- تمام حسان،

5- اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، الهيأة المصرية العامة للكتاب 1979م

- الجاربردي وابن جماعة،

6- شرح الشافية، ج2، عالم الكتب ط3، 1984م، ص 74.

- ابن جني،

7- المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر 1954م.

- ابن حاجب،

8- الكافية في النحو، بشرح الأستراباذي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

- الزمخشري،

9- المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق علي بوملحم، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت 1993م.

- سيبويه،

10- الكتاب، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي بمصر ودار الرفاعي بالرياض 1982م.

- صبحي الصالح،

11- دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1981م

- عبد الله بوخلخال،

12- التعبير الزمني عند النحاة العرب، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987م.

- ابن فارس،

13- الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة، أ. بدران، بيروت 1964.

– ابن مالك،
14– تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، مصـــر 1967م.
– المبرد،
15– المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
– الميداني،
16– نزهة الطرف في علم الصرف، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت– لبنان 1981م.
– هنري فليش،
17– العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبد الصبور شـــاهين، ط2، دار المشرق، بيروت – لبنان 1983م.
– ابن يعيش،
18– شرح المفصل، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).
– ابن يعيش،
19– شرح الملوكي في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، حلب 1973م.

الهوامش

[i] ينظر: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت 2002م، ص 1056.

[ii] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1981م، ص 290- 291.

[iii] تمام حسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، ط2، الهيأة المصرية العامة للكتاب 1979م ص 151.

[iv] سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي بمصر ودار الرفاعي بالرياض 1982م، ص12.

[v] المصدر نفسه، ج1، ص12، ويقسم هنري فليش (Henri Fleish) الزمن إلى قسمين: تام وغير تام، حيث يرى أنَّ تصريف العربية لا يحتوي سوى زمنين، وهما ما أطلق عليهما التام "Accompli" وغير التام "Inaccompli" ثم يؤكد رأيه قائلاً: "وقد اكتفت العربية بصيغتين فعليتين متصرفتين متعارضتين، ومن أجل هذا لم يكن في العربية سوى زمنين" ينظر: هنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، ط2، دار المشرق، بيروت – لبنان 1983م، ص136-138.

[vi] سيبويه، الكتاب، ج1، ص35.

[vii] الجاربردي وابن جماعة، شرح الشافية، ج2، عالم الكتب ط3، 1984م، ص 74.

[viii] سيبويه، الكتاب، ج1، ج4، ص 38.

[ix] ابن جني، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر 1954م، ج1، ص 21، وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ج1، ص 153.

[x] الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 44.

[xi] البحتري، الديوان ، تحقيق حسن كامل الصيرافي، دار المعارف ط3 القاهرة 1977م ج4، ص 2084.

[xii] نفسه، ج 3، ص 1587.

[xiii] ينظر: الجاربردي، شرح الشافية ل، ج1، ص 71.

[xiv] البحتري، الديوان، ج3، ص 1583.

[xv] المصدر نفسه، ج3 ، ص 1550.

[xvi] نفسه، ج4، ص 2295.

[xvii] ينظر: الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 71.

[xviii] البحتري، الديوان، ج1، ص 467.

[xix] المصدر نفسه، ج3، ص 1363.

[xx] نفسه، ج2، ص 1243.

[xxi] نفسه، ج3، ص 1769.

[xxii] نفسه، ج4، ص 2104.

[xxiii] نفسه، ج1، ص 155.

[xxiv] نفسه، ج3، ص 1703.

[xxv] نفسه، ج2، ص 1164.

[xxvi] نفسه، ج2، ص 1166.

[xxvii] البحتري، الديوان ، ج4، ص 2262.

[xxviii] نفسه، ج1، ص 539.

[xxix] نفسه، ج2، ص 723.

[xxx] نفسه، ج1، ص 514.

[xxxi] نفسه، ج4، ص 2170.

[xxxii] نفسه، ج3 ، ص 1980.

[xxxiii] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 104.

[xxxiv] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط5، مصر 1975م، ص 52.

[xxxv] البحتري، الديوان، ج1، ص139.

[xxxvi] البحتري، الديوان، ج2، ص652.

[xxxvii] المصدر نفسه، ج1، ص463.

[xxxviii] المصدر نفسه، ج3، 1685.

[xxxix] سيبويه، الكتاب، ج1، ص 12.

[xl] المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج2، ص275.

[xli] البحتري، الديوان، ج4، ص 80-81.

[xlii] الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق علي بوملحم، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت 1993م، ص 244.

[xliii] ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، مصر 1967م، ص5.

[xliv] البحتري، الديوان، ج4، ص2066.

[xlv] البحتري، الديوان، ج2، ص698.

[xlvi] المصدر نفسه، ج2، 658.

[xlvii] عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1987م، ص50-51.

[xlviii] البحتري، الديوان، ج2، ص753.

[xlix] المصدر نفسه، ج4، ص2136.

[l] نفسه، ج3، 1403.

[li] ابن الحاجب، الكافية في النحو، بشرح الأستراباذي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج2، ص 225. وينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص 5، والتعبير الزمني عند النحاة العرب لعبد الله بوخلخال ، ج1ص53.

[lii] ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص5.

[liii] ابن الحاجب، الكافية في النحو، بشرح الأستراباذي النحوي، ج2، ص 226.

[liv] ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص 4.

[lv] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة، أ. بدران بيروت 1964، ص202

[lvi] البحتري، الديوان، ج1، ص76.

[lvii] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص255، وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج9، ص110.

[lviii] المصدر نفسه، ص255..

[lix] البحتري، الديوان، ج2، ص723.

[lx] البحتري، الديوان، ج3، ص1886.

[lxi] المصدر نفسه، ج1، ص102

[lxii] نفسه، ج1، ص417.

[lxiii] ابن الأثير، المثل السائر في الأدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مكتبة نهضة مصر – القاهرة 1959م، ج2، ص193.

[lxiv] البحتري، الديوان، ج1، ص 224.

[lxv] المصدر نفسه، ج4، ص 2163.

[lxvi] نفسه، ج4، ص 2164.

[lxvii] نفسه، ج2، ص 1003.

[lxviii] نفسه، ج1، ص 118.

[lxix] نفسه، ج3، ص 1616.

[lxx] نفسه، ج2، ص 1093.

[lxxi] نفسه، ج3، ص 1827.

[lxxii] البحتري، الديوان، ج3، ص 1963.

[lxxiii] نفسه، ج2، ص 960.

[lxxiv] نفسه، ج1، ص 75.

[lxxv] نفسه، ج3، ص 1457.

[lxxvi] نفسه، ج3، ص 1742.

[lxxvii] نفسه، ج4، ص 2357.

[lxxviii] نفسه، ج2، ص 1293.

[lxxix] نفسه، ج3، ص 1657.

[lxxx] نفسه، ج4 ص 2155.

[lxxxi] الجاربردي، شرح الشافية ل، ج1 ، ص 92.

[lxxxii] البحتري، الديوان، ج1، ص 295.

[lxxxiii] البحتري، الديوان، ج3 ، ص 1841.

[lxxxiv] المصدر نفسه، ج1، ص 118.

[lxxxv] نفسه، ج1، ص 150.

[lxxxvi] نفسه، ج1، ص 586.

[lxxxvii] نفسه، ج1، ص 500.

[lxxxviii] ينظر: الجاربردي، شرح الشافية ل، ج1 ص 96.

[lxxxix] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 68.

[xc] ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، حلـــب 1973م، ص 73.

[xci] شرح الشافية للجاربردي، ج1، ص 96.

[xcii] البحتري، الديوان، ج1، ص 509.

[xciii] المصدر نفسه، ج3، ص 1698.

[xciv] الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 83.

[xcv] البحتري، الديوان، ج3 ص 1717.

[xcvi] المصدر نفسه، ج1، ص 535.

[xcvii] نفسه، ج3، ص 1461.

[xcviii] نفسه، ج3، ص 1440.

[xcix] نفسه، ج2 ص 712.

[c] نفسه، ج4، ص 2090.

[ci] نفسه، ج1، ص 169.

[cii] البحتري، الديوان، ج2، ص 1008.

[ciii] نفسه، ج1، ص 513.

[civ] نفسه، ج4، ص 2188.

[cv] نفسه، ج1، ص 343.

[cvi] نفسه، ج1، ص 422.

[cvii] نفسه، ج3، ص 1506.

[cviii] نفسه، ج4، ص 2153.

[cix] نفسه، ج2، ص 777.

[cx] نفسه، ج3، ص 1933.

[cxi] البحتري، الديوان، ج2، ص 694.

[cxii] ابن الحاجب، الكافية في النحو، بشرح الأستراباذي النحوي، ج1، ص 83-91.

[cxiii] البحتري، الديوان، ج2، ص 703.

[cxiv] المصدر نفسه، ج3 ص 1998.

[cxv] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص 65، والجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 108.

[cxvi] البحتري، الديوان، ج1، ص117.

[cxvii] المصدر نفسه، ج3، ص 1999.

[cxviii] الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 108.

[cxix] البحتري، الديوان، ج1، ص 103.

[cxx] البحتري، الديوان، ج2 ، ص 1075.

[cxxi] نفسه، ج2 ، ص 1314.

[cxxii] ابن جني، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مصر 1954م، ج1، ص75، والميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان 1981م، ص150.

[cxxiii] البحتري، الديوان، ج3، ص 1530.

[cxxiv] المصدر نفسه، ج3 ، ص 2046.

[cxxv] نفسه، ج3، ص 1472.

[cxxvi] نفسه، ج1، ص 258.

[cxxvii] نفسه، ج3، ص 1998.

[cxxviii] نفسه، ج3، ص 1703.

[cxxix] البحتري، الديوان، ج2، ص 1071.

[cxxx] نفسه، ج3، ص 1577.

[cxxxi] الجاربردي، شرح الشافية، ج1، ص 108.

[cxxxii] البحتري، الديوان، ج1، ص 104.

[cxxxiii] البحتري، الديوان، ج2، ص 1015.

[cxxxiv] المصدر نفسه، ج2، ص 1270.

[cxxxv] البحتري، الديوان، ج2، ص 708.

[cxxxvi] البحتري، الديوان، ج3، ص 1822.

[cxxxvii] نفسه، ج3، ص 1813.

* ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص 200، والميداني، نزهة الطـــرف ، ص 153 (مـــن الهامش).

[cxxxviii] البحتري، الديوان، ج1، ص 477.

[cxxxix] البحتري، الديوان، ج2، ص 694.

[cxl] المصدر نفسه، ج3، ص 1377.

[cxli] سيبويه، الكتاب ، ج4، ص 70.

[cxlii] البحتري، الديوان، ج3، ص 1956.